

في ضحك وتبسم سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم

جمع وترتيب

أبي الحسن عبد الملك الإبي الحبيشي

تقديم

الشيخ

عبد العزيز بن يحيى البرعي

والشيخ

أحمد بن غانم الأسدي



مكتبة البشير
للطباعة والنشر
اليمن - ذمار - معبر
٥ - ٧٧٣٠٥٥٢٨٦

الكتاب: الأربعين في ضحك وتبسم سيد المرسلين ﷺ.

المؤلف: أبو الحسن عبد الملك بن عبد الله بن عبدالسلام الإبي الحبيشي.

المقاس: ١٧ × ٢٤.

اللون: مُلوَّن.

أبو حمزة السريحي

تفريغ الصوتيات - إدخال مخطوطات - تنسيق بحوث

جوال/ ٧٧٧١٣٥٥٠١ - ٠٠٩٦٧

بريد إلكتروني Abohamzah٦٨@gmail.com

الأربعين

في ضحك وتبسم سيد المرسلين ﷺ

[مستخرجة من صحيح مسلم]

جمعها

أبو الحسن عبد الملك بن عبدالله بن عبدالسلام الإبي الحبيشي

تقديم

الشيخ عبدالعزيز بن يحيى البرعي

الشيخ أحمد بن غانم الأسدي


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة فضيلة الشيخ
عبد العزيز بن يحيى البرعي - حفظه الله -

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، **أما بعد:**

فقد اطلعت علىٰ رسالة الأخ أبي الحسن عبدالملك بن عبدالله بن عبدالسلام الحبيشي الإبي، والتي أسماها «**الأربعين في ضحك وتبسم سيد المرسلين**» مأخوذا من صحيح الإمام مسلم بن الحجاج - عليه رحمة الله -، وقد أبان هذا البحث عن خلق رسول الله - صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم - وأنه ليس كما يظن بعض الزهاد من ترك الضحك والتبسم، كما أنه لا ينبغي الاستدلال بهذه الأدلة علىٰ كثرة الضحك؛ فالضحك مطلوب عند الحاجة بقدر الحاجة.

فجزىٰ الله أخانا عبدالملك خيرًا علىٰ هذا البحث الحسن، والحمد لله رب العالمين.

كتبه/ عبد العزيز بن يحيى البرعي

٧ / ١١ / ١٤٤٢

مقدمة الشيخ الفاضل

أحمد بن غانم الأسدي - حفظه الله -

الحمد لله بجميع المحامد علىٰ جميع النعم، والصلاة والسلام علىٰ خير خلقه المبعوث إلىٰ خير الأمم، وعلىٰ آله وصحبه مفاتيح الحكم ومصابيح الظلم.

أما بعد:

فقد طلب مني الأخ المكرم عبدالملك بن عبدالله الإبي الحبيشي - حفظه الله ونفع به - النظر والتقريظ لكتابه «**الأربعين في ضحك وتبسم سيد المرسلين ﷺ**» انتخبها من " صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رَحِمَهُ اللَّهُ" ثاني أصح دواوين السنة المطهرة.

وهذا الجمع لتلك الأحاديث من المشاركة المشكورة في خدمة السيرة النبوية، والأنباء المحمدية، وتقريبها بين يدي الأمة.

وفي هذه الأحاديث إيقاظ للذين ترسموا العبوس والتقطيب، ظانين - ظن السوء - أنه دليل الزهادة والورع، غافلين عن هدي سيد الكاملين ﷺ، الذي ضحك وتبسم، وداعب ومازح، وهو ﷺ أتقىٰ الخلق لله، وأعلمهم به،

وأخشاهم له؛ فأعطىٰ لكل مقام مقال، ولكل حالة لبوس فلا اكفهرار ولا عبوس؛ ليعلمنا السير علىٰ سواء الصراط، ويباعدنا عن التفريط والإفراط.

فشكر الله لجامع هذه الأحاديث وناشرها، وكثَّر الله من خدمة السيرة النبوية في البوادي والحواضر.

وسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

كتبه/ أحمد بن غانم الأسدي

عصر الخميس السابع من شهر ذي القعدة سنة (١٤٤٢)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، تسليمًا كثيراً.

أما بعد:

فهذه أربعون حديثًا مستخرجة من« صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ »إلا الأربعة الأخيرة - متعلقة بمواقف ضحك أو تبسم فيها نبينا ﷺ[١]، أفردتها من كتابي الكبير «**الإبهاج في استخراج وترتيب فوائد شرح النووي علىٰ صحيح مسلم بن الحجاج**» يسر الله طباعته ونشره، والذي دعاني لإفرادها، هو أن عددها بلغ ما يقارب أربعين حديثًا، وهو عدد طيب في هذا الباب، يحسن جمعه وضم بعضه إلىٰ بعض[٢]، وكذلك مشاركة مني في نشر سيرة رسول الله ﷺ العطرة، وإظهار هذه الصفات الحميدة التي كان متصفًا بها ﷺ في زمن كثر فيه الطاعنون في دين

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: « الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ مَجْمُوعِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ ﷺ كَانَ فِي مُعْظَمِ أَحْوَالِهِ لَا يَزِيدُ عَلَىٰ التَّبَسُّمِ، وَرُبَّمَا زَادَ عَلَىٰ ذَلِكَ فَضَحِكَ، وَالْمَكْرُوهُ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الْإِكْثَارُ مِنْهُ أَوِ الافراط فِيهِ لِأَنَّهُ يذهب الْوَقار». «فتح الباري» (١٠/ ٥٠٦)

(٢) عقد الإمام البخاري بابًا لهذا في كتاب «الأدب» من صحيحه فقال: باب التبسم والضحك، ثم ساق بضعة أحاديث فيها تبسم وضحك رسول الله ﷺ.

الإسلام ونبيه ﷺ، وأيضـًا فإن الجمع والتصنيف في هذا الباب - الأربعينات - قد توارد عليه كثير من الأئمة، والعلماء، وطلاب العلم، فأحببت أن يكون لي فيه مشاركة، تأسيًا بهم، واقتداءً بفعلهم، ورجاء أن يلحقني الله ﷻ بهم.

وإني لأرجو أن تكون هذه الرسالة نافعة لي أولاً، وللمسلمين ثانيًا؛ فنحسن من أخلاقنا، ونتحلىٰ بجميلها اهتداءً واقتداءً بسيد الأولين والآخرين عليه الصلاة والسلام[1]، وأيضا أرجو نفعها لإخواني الخطباء والوعاظ؛ فإن أحاديث

(١) في ترجمة يحيىٰ بن حماد بن أبي زياد الشيباني « ت ٢١٥ » من « سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٤٠) يقول الحافظ الذهبي: «قَالَ مُحَمَّدُ بنُ النُّعْمَانِ بنِ عَبْدِ السَّلاَمِ: لَمْ أَرَ أَعْبَدَ مِنْ يَحْيَىٰ بنِ حَمَّادٍ، وَأَظُنُّهُ لَمْ يَضْحَكْ.

قُلْتُ - الذهبي -: الضَّحِكُ اليَسِيْرُ، وَالتَّبَسُّمُ أَفْضَلُ، وَعَدَمُ ذَلِكَ مِنْ مَشَايخِ العِلْمِ عَلَىٰ قِسْمَينِ:

أَحَدُهُمَا: يَكُوْنُ فَاضِلاً لِمَنْ تَرَكَهُ أَدَبًا وَخَوْفًا مِنَ اللهِ، وَحُزْنًا عَلَىٰ نَفْسِهِ المِسْكِيْنَةِ.

وَالثَّانِي: مَذْمُوْمٌ لِمَنْ فَعَلَهُ حُمْقًا، وَكِبْراً، وَتَصَنُّعًا.

كَمَا أَنَّ مَنْ أَكْثَرَ الضَّحِكَ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَلاَ رَيْبَ أَنَّ الضَّحِكَ فِي الشَّبَابِ أَخَفُّ مِنْهُ وَأَعْذَرُ مِنْهُ فِي الشُّيُوْخِ.

وَأَمَّا التَّبَسُّمُ، وَطلاَقَةُ الوَجْهِ، فَأَرْفَعُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهُ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيْكَ صَدَقَةٌ».

=

هذه الرسالة يصلحُ أن يُصاغَ منها عددٌ لابأس به من خطب الجمعة، أو المحاضرات والكلمات التي تُلقىٰ علىٰ الناس، ويصلح أن تُدرَّس وتُشرح لطلاب العلم ولعامة الناس، وكذلك يستطيع الواحد أن يأخذ منها حديثًا فأكثر، وينشره في وسائل التواصل الحديثة، فينتفع بهذا الفعل عدد من الخلق لا يحصيهم إلا الله.

ولست أزعم أني قد جئتُ بجديدٍ، إنما غاية ما عملتهُ هو جمع هذه الأحاديث في موضع واحد، وبيان بعض معاني مفرداتها وألفاظها من كلام أهل العلم، مع حرصي - ما استطعت - علىٰ بيان سبب ضحك النبي ﷺ وتبسمه، نقلاً من كلام شُراح الحديث، إن لم يكن ذلك ظاهراً من خلال السياق، أو مصرحًا به فيه.

=

وَقَالَ جَرِيْرٌ: «مَا رَآنِي رَسُوْلُ اللهِ ﷺ إِلاَّ تبسَّمَ» فَهَذَا هُوَ خُلُقُ الإِسْلاَمِ، فَأَعْلَىٰ المَقَامَاتِ مَنْ كَانَ بَكَّاءً بِاللَّيْلِ، بَسَّاماً بِالنَّهَارِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: «لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، فَلْيَسَعْهُم مِنْكُم بَسْطُ الوَجْهِ».

بَقِيَ هُنَا شَيْءٌ: يَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ ضَحُوكاً بَسَّاماً أَنْ يُقَصِّرَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَلُوْمَ نَفْسَهُ حَتَّىٰ لاَ تَمَجُّهُ الأَنْفُسُ، وَيَنْبَغِي لِمَنْ كَانَ عَبُوساً مُنْقَبِضاً أَنْ يَتَبَسَّمَ، وَيُحسِّنَ خُلُقَهُ، وَيَمْقُتَ نَفْسَهُ عَلَىٰ رَدَاءةِ خُلُقِهِ، وَكُلُّ انحِرَافٍ عَنِ الاعتدَالِ فَمَذْمُوْمٌ، وَلاَ بُدَّ لِلنَّفْسِ مِنْ مُجَاهدَةٍ وَتَأْدِيْبٍ » .

ثم إني أشكر مشايخي الفضلاء، وقدواتي النبلاء، الذين تكرموا بالاطلاع علىٰ هذه الرسالة، وتفضلوا بإبداء الملاحظات والتعديلات حولها، وهم: فضيلة شيخنا ووالدنا: عبدالعزيز بن يحيىٰ البرعي - أدام الله بهجته وحرس للأنام مُهجته -

والشيخ الفاضل خادم سيرة رسول الله ﷺ: أحمد بن غانم الأسدي - رعاه الله وسدده -.

والشيخ الفاضل الخلوق: عادل بن أحمد المشوري - حفظه الله ووفقه -.

أسأل الله سبحانه أن يجعل هذه الرسالة خالصةً لوجهه الكريم، مدنية لي من جنات النعيم، مبعدة من نار الجحيم. كما أساله ﷻ أن يجعل فيها الخير والبركة والنفع، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

وكتبه / أبو الحسن عبدالملك بن عبدالله بن عبدالسلام الإبي الحبيشي

في التاسع من ذي القعدة لعام اثنين وأربعين وأربع مئة وألف

من هجرة رسول الله ﷺ

٩ / ١١ / ١٤٤٢

بمدينة إب من بلاد اليمن السعيد

الأربعين

في ضحك وتبسم[1] سيد المرسلين ﷺ[2]

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٦١٩): «قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: التَّبَسُّمُ مَبَادِئُ الضَّحِكِ، وَالضَّحِكُ انْبِسَاطُ الْوَجْهِ حَتَّىٰ تَظْهَرَ الْأَسْنَانُ مِنَ السُّرُورِ، فَإِنْ كَانَ بِصَوْتٍ وَكَانَ بِحَيْثُ يُسْمَعُ مِنْ بُعْدٍ فَهُوَ الْقَهْقَهَةُ وَإِلَّا فَهُوَ الضَّحِكُ، وَإِنْ كَانَ بِلَا صَوْتٍ فَهُوَ التَّبَسُّمُ، وَتُسَمَّىٰ الْأَسْنَانُ فِي مُقَدَّمِ الْفَمِ الضَّوَاحِكَ وَهِيَ الثَّنَايَا وَالْأَنْيَابُ وَمَا يَلِيهَا وَتُسَمَّىٰ النواجذ».

(٢) لم أكتفِ بموضع الشاهد من الحديث في الأحاديث الطويلة ، بل أذكر الحديث بتمامه - غالبًا - لأمور منها: أن الشاهد قد لا يظهر مستوفيًا معناه إلا إن سيق الحديث كله، ومنها قصدُ أن تكون هذه الأحاديث بتمامها زادًا للخطيب أو المدرس الذي يريد التكلم عن هذا الجانب من جوانب سيرته ﷺ.

الحديث الأول

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ؛ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَىٰ فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَىٰ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَىٰ فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَىٰ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ: إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي أَوْ أَتَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ(١)» قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ ذَاكَ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً(٢) (١).

---

(١) قال النووي في «شرح مسلم» (٣/ ٤٠): «قَالَ أَبُو الْعَبَّاس ثَعْلَب وَجَمَاهِير الْعُلَمَاء مِنْ أَهْل اللُّغَة وَغَرِيب الْحَدِيث وَغَيْرهمْ: الْمُرَاد بِالنَّوَاجِذِ هُنَا الْأَنْيَاب، وَقِيلَ: الْمُرَاد هُنَا الضَّوَاحِك، وَقِيلَ: الْمُرَاد بِهَا الْأَضْرَاس، وَهَذَا هُوَ الْأَشْهَر فِي إِطْلَاق النَّوَاجِذ فِي اللُّغَة، وَلَكِنَّ الصَّوَاب عِنْد الْجَمَاهِير مَا قَدَّمناه».

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٤٤٤): «قَوْلُهُ: وَكَانَ يُقَالُ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً. قَالَ الْكَرْمَانِيُّ: لَيْسَ هَذَا مِنْ تَتِمَّةِ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَلْ هُوَ مِنْ كَلَامِ الرَّاوِي

=

الحديث الثاني

* عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أيضـًا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ. فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَي رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لاَ، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَىٰ، فَيَقُولُ: أَي رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا؟

=

نَقْلًا عَنِ الصَّحَابَةِ أَوْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ. قُلْتُ - ابن حجر -: قَائِلُ« وَكَانَ يُقَالُ..» هُوَ الرَّاوِي كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ، وَأَمَّا قَائِلُ الْمَقَالَةِ الْمَذْكُورَةِ فَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَلَفْظُهُ « أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ..» وَسَاقَ الْقِصَّةَ».

(١) الحديث رواه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، هَذِهِ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ؛ لأَنَّهُ يَرَىٰ مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ[(١)]؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ »، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَلاَ تَسْأَلُونِّي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَىٰ مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»[(٢)].

---

(١) مَعْنَاهُ: يَقْطَع مَسْأَلَتك مِنِّي. قَالَ أَهْل اللُّغَة: (الصَّرْي) بِفَتْحِ الصَّاد وَإِسْكَان الرَّاء هُوَ الْقَطْع. قاله النووي في «شرح مسلم» (٣/ ٤١).

(٢) الحديث رواه مسلم (١٨٧).

الحديث الثالث

* عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَىٰ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً[1]، فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ[2] [3].

(١) قَالَ المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٦/ ٣٩٢): «قال الْقَارِي: وَهُوَ إِمَّا لِكَوْنِهِ تَائِبًا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، لَكِنْ يُشْكِلُ بِأَنَّهُ كَيْفَ يَكُونُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا ؟ وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: فَعَلَ بَعْدَ التَّوْبَةِ ذُنُوبًا اِسْتَحَقَّ بِهَا الْعِقَابَ، وَإِمَّا وَقَعَ التَّبْدِيلُ لَهُ مِنْ بَابِ الْفَضْلِ مِنْ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالثَّانِي أَظْهَرُ؛ وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ حِينَئِذٍ يَطْمَعُ فِي كَرَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ».

(٢) قال العلامة الإتيوبي في «البحر المحيط الثجاج» (٥/ ٢٦٨): «إنما ضَحِك النبيّ ﷺ تعجّبًا من طمع الرجل في أن يعوّض من كبائره حسنات، بعد أن كان مشفقًا أشدّ الإشفاق علىٰ المؤاخذة بها».

(٣) الحديث رواه مسلم (١٩٠).

الحديث الرابع

* عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَثِيرًا، كَانَ لاَ يَقُومُ مِنْ مُصَلاَّهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَوِ الْغَدَاةَ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَيَضْحَكُونَ(١) وَيَتَبَسَّمُ(٢).



(١) أي: يذكرون الأعمال التي كانوا يعملونها في أيام كونهم غير مسلمين؛ استقباحًا لها، وشُكرًا لِمَا هداهم الله سبحانه وتعالىٰ إليه من الدين الحنيف، وأبدلهم بالسيّئة الحسنة، (فَيَضْحَكُونَ) تعجّبًا مما سلف لهم في تلك الأيام مما هو مخالف للدين والعقل. قاله العلامة الإتيوبي في «البحر المحيط الثجاج» (٣٧/ ٥٠١).

(٢) الحديث رواه مسلم (٦٧٠).

الحديث الخامس

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌ[١] غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فالتفت إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ **فَضَحِكَ**[٢]، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ[٣] [٤].



(١) نسبة إلىٰ مدينة نجران الشهيرة، التي تقع حالياً في المنطقة الحدودية بين اليمن والسعودية.

(٢) أي: من قوله المنبِئ بشأنه؛ فشأن الإنسان دليل عقله. قاله ابن علان في «دليل الفالحين» (٥/ ١١٤)

(٣) قال ابن علان: «العطاء عبارة عما يجتمع من الأموال من فيءٍ أو غنيمةٍ وخراجٍ وتركةِ من لا وارث له، والمراد هنا أمر له بشيء من ذلك». «المرجع السابق».

(٤) الحديث رواه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).

الحديث السادس

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِي ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**وَمَا أَهْلَكَكَ**». قَالَ: وَقَعْتُ عَلَىٰ امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: «**هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً**». قَالَ: لاَ، قَالَ: «**فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ**». قَالَ: لاَ، قَالَ: «**فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا**». قَالَ: لاَ، قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ فَأُتِي النَّبِي ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ. فَقَالَ: «**تَصَدَّقْ بِهَذَا**». قَالَ: أَفْقَرَ مِنَّا[١] فَمَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا[٢] أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا. **فَضَحِكَ النَّبِي ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ أَنْيَابُهُ**[٣] ثُمَّ قَالَ:

---

(١) قال الإمام النووي: «قَوْله: (قَالَ: أَفْقَرَ مِنَّا) كَذَا ضَبَطْنَاهُ (أَفْقَرَ) بِالنَّصْبِ، وَكَذَا نَقَلَ الْقَاضِي أَنَّ الرِّوَايَة فِيهِ بِالنَّصْبِ عَلَىٰ إِضْمَار فِعْل تَقْدِيره: أَتَجِدُ أَفْقَرَ مِنَّا، أَوْ أَتُعْطِي، قَالَ: وَيَصِحّ رَفْعُهُ عَلَىٰ تَقْدِير: هَلْ أَحَد أَفْقَرُ مِنَّا».

(٢) قال الإمام النووي:«هُمَا الْحَرَّتَانِ، وَالْمَدِينَة بَيْن حَرَّتَيْنِ، وَ (الْحَرَّة) الْأَرْض الْمُلْبِسَة حِجَارَةً سَوْدَاءَ».

(٣) قِيلَ: إِنَّ سَبَبَ ضَحِكِهِ ﷺ كَانَ مِنْ تَبَايُنِ حَالِ الرَّجُلِ؛ حَيْثُ جَاءَ خَائِفًا عَلَىٰ نَفْسِهِ رَاغِبًا فِي فَدَائِهَا مَهْمَا أَمْكَنَهُ، فَلَمَّا وَجَدَ الرُّخْصَةَ طَمِعَ فِي أَنْ يَأْكُلَ مَا أُعْطِيَهُ مِنَ الْكَفَّارَةِ، وَقِيلَ: ضَحِكَ مِنْ حَالِ الرَّجُلِ فِي مَقَاطِعِ كَلاَمِهِ، وَحُسْنِ تَأَتِّيهِ وَتَلَطُّفِهِ فِي الْخِطَابِ، وَحُسْنِ تَوَسُّلِهِ فِي تَوَصُّلِهِ إِلَىٰ مَقْصُودِهِ. انظر«فتح الباري» للحافظ ابن حجر (٤/ ١٧١).

«اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»[(١)].

❊❊❊❊

(١) الحديث رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١).

الحديث السابع

* عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتِ امْرَأَةُ رِفَاعَةَ إِلَىٰ النَّبِي ﷺ فَقَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فَبَتَّ طَلاَقِي(١)، فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ، وَإِنَّ مَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(٢) فَقَالَ: «**أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَىٰ رِفَاعَةَ؟ لاَ، حَتَّىٰ تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ**(٣)»(٤).



---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «هذا ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ قَالَ لَهَا: أَنْتِ طَالِقٌ أَلْبَتَّةَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُ طَلَّقَهَا طَلاَقًا حَصَلَ بِهِ قَطْعُ عِصْمَتِهَا مِنْهُ، وَهُوَ أَعَمُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ طَلَّقَهَا ثَلاَثًا مَجْمُوعَةً، أَوْ مُفَرَّقَةً». «فتح الباري» (٩/ ٣٦٧)

(٢) قال الإمام النووي: «قَالَ الْعُلَمَاء: إِنَّ التَّبَسُّم لِلتَّعَجُّبِ مِنْ جَهْرهَا وَتَصْرِيحهَا بِهَذَا الَّذِي تَسْتَحْيِي النِّسَاء مِنْهُ فِي الْعَادَة، أَوْ لِرَغْبَتِهَا فِي زَوْجهَا الْأَوَّل وَكَرَاهَة الثَّانِي، وَاَللَّه أَعْلَم» «شرح صحيح مسلم» (١٠/ ٢٤٤ – ٢٤٥).

(٣) هِيَ كِنَايَة عَنْ الْجِمَاع، شَبَّهَ لَذَّته بِلَذَّةِ الْعَسَل وَحَلاَوَته، قَالُوا: وَأَنَّثَ الْعُسَيْلَة لِأَنَّ فِي الْعَسَل نَعْتَيْنِ التَّذْكِير وَالتَّأْنِيث. «المرجع السابق».

(٤) الحديث رواه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣).

الحديث الثامن

* عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أيضـًا، قَالَتْ: جَاءَتْ سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْلٍ إِلَىٰ النَّبِي ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَرَىٰ فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ دُخُولِ سَالِمٍ - وَهُوَ حَلِيفُهُ -[١]، فَقَالَ النَّبِي ﷺ «أَرْضِعِيهِ»[٢]، قَالَتْ: وَكَيْفَ أُرْضِعُهُ وَهُوَ رَجُلٌ كَبِيرٌ؟ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ [٣] وَقَالَ: **«قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ»**

وَفِي رِوَايَةٍ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٤].

(١) معنىٰ هذا الكلام: «أن أبا حُذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تبنّىٰ سالِمًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين كان التبنّي جائزًا، فكان يُدعَىٰ ابنه، وكان يسكن معهم في بيت واحد، فلما نزلت الآية: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾، وحُرّم التبنّي، كره أبو حذيفة دخول سالم مع اتحاد المسكن، وفي تعدّده مشقّةٌ عليهم، فجاءت سهلة إلىٰ رسول الله ﷺ لحلّ هذه المشكلة». قاله العلامة الإتيوبي «البحر المحيط الثجاج» (٢٥/ ٦٥٣).

(٢) قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (١٠/ ٢٧٤) «قَوْله ﷺ: (أَرْضِعِيهِ) قَالَ الْقَاضِي عياض: لَعَلَّهَا حَلَبَتْهُ ثُمَّ شَرِبَهُ مِنْ غَيْر أَنْ يَمَسّ ثَدْيهَا وَلَا اِلْتَقَتْ بَشَرَتَاهُمَا، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الْقَاضِي حَسَنٌ، وَيَحْتَمِل أَنَّهُ عُفِيَ عَنْ مَسّه لِلْحَاجَةِ كَمَا خُصَّ بِالرَّضَاعَةِ مَعَ الْكِبَر. وَاَللَّه أَعْلَم»

(٣) تعجبًا مما قالت.

(٤) الحديث رواه مسلم (١٤٥٣).

الحديث التاسع

* عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَوَجَدَ النَّاسَ جُلُوسًا بِبَابِهِ لَمْ يُؤْذَنْ لأَحَدٍ مِنْهُمْ، قَالَ: فَأُذِنَ لأَبِي بَكْرٍ فَدَخَلَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عُمَرُ، فَاسْتَأْذَنَ فَأُذِنَ لَهُ، فَوَجَدَ النَّبِي ﷺ جَالِسًا، حَوْلَهُ نِسَاؤُهُ، وَاجِمًا سَاكِتًا[1]، قَالَ: فَقَالَ: لأَقُولَنَّ شَيْئًا أُضْحِكُ النَّبِي ﷺ[2]، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ رَأَيْتَ بِنْتَ خَارِجَةَ[3] سَأَلَتْنِي النَّفَقَةَ فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَوَجَأْتُ عُنُقَهَا[4]، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**هُنَّ حَوْلِي كَمَا تَرَىٰ يَسْأَلْنَنِي النَّفَقَةَ**»، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ إِلَىٰ عَائِشَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا، فَقَامَ عُمَرُ إِلَىٰ حَفْصَةَ يَجَأُ عُنُقَهَا. كِلاَهُمَا يَقُولُ:

---

(١) الواجم: الساكت لأمر يكرهه كالمهتم به، يقال: وجم يجم وجومًا. «كشف المشكل من حديث الصحيحين» لابن الجوزي (١/ ٧٤٨).

(٢) فِيهِ اِسْتِحْبَاب مِثْل هَذَا، وَأَنَّ الْإِنْسَان إِذَا رَأَىٰ صَاحِبه مَهْمُومًا حَزِينًا يُسْتَحَبّ لَهُ أَنْ يُحَدِّثهُ بِمَا يُضْحِكهُ أَوْ يُشْغِلهُ وَيُطَيِّب نَفْسه. قاله النووي «شرح مسلم» (١٠/ ٣٢٣)

(٣) قال العلامة الإتيوبي: « تعقّب هذا صاحب «التنبيه»، فقال: هذا فيه نظرٌ، فإن بنت خارجة تحت الصدّيق، لا تحت عمر، وفي «مسند أحمد»: «لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر- » ،وكذلك أخرجه أبو عوانة في «مستخرجه »علىٰ مسلم ». «البحر المحيط الثجاج» (٢٦/ ١٤٦).

(٤) أي: طعن ودق عنقها.

تَسْأَلْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ؟ فَقُلْنَ: وَاللهِ لاَ نَسْأَلُ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَيْئًا أَبَدًا لَيْسَ عِنْدَهُ، ثُمَّ اعْتَزَلَهُنَّ شَهْرًا أَوْ تِسْعًا وَعِشْرِينَ[(١)] ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ**﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿**لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[الأحزاب: ٢٨ - ٢٩] قَالَ: فَبَدَأَ بِعَائِشَةَ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أُحِبُّ أَنْ لاَ تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّىٰ تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكِ**». قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَتَلاَ عَلَيْهَا الآيَةَ، قَالَتْ: أَفِيكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَسْتَشِيرُ أَبَوَيَّ؟ بَلْ أَخْتَارُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ لاَ تُخْبِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِكَ بِالَّذِي قُلْتُ، قَالَ: «**لاَ تَسْأَلُنِي امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ إِلاَّ أَخْبَرْتُهَا، إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلاَ مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا**[(٢)]»[(١)].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٩/ ٢٩٠): «ومن اللطائف أن الحكمة في الشهر مع أن مشروعية الهجر ثلاثة أيام، أن عدتهن كانت تسعة، فإذا ضربت في ثلاثة كانت سبعة وعشرين، واليومان لمارية لكونها كانت أمة فنقصت عن الحرائر، والله أعلم».

(٢) قال العلامة القرطبي في «المفهم فيما أشكل من تلخيص مسلم» (١٣/ ٩١_٩٢): «أصل العنت: المشقة. والْمُعَنِّتُ: هو الذي يوقع العنت بغيره. والمتعنِّت: هو الذي يحمل غيره علىٰ العمل بها. ويحتمل أن يقال: المعنت: هو المجبول علىٰ ذلك. والمتعنت: هو الذي يتعاطىٰ ذلك وإن لم يكن في جِبِلَّته، وكأن عائشة رضي الله عنها توقعت: أنَّه إذا لم يخبر أحدًا من زوجاته يكون فيهن من يختار الدنيا، فيفارقها النبي ﷺ، وأنهن إذا

=

الحديث العاشر

* عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِي اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَىٰ وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرْنَ بِالْحِجَابِ، فَقَالَ عُمَرُ: فَقُلْتُ: لأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ، فَقُلْتُ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ عَلَيْكَ بِعَيْبَتِكَ(٢)، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَىٰ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا

=

سَمِعْنَ باختيارها هي له اقتدين بها فَيَخْتَرْنَهُ، وكذلك فعلنَّ، ووقع للنبي ﷺ: أنَّه إن سألته واحدة منهن عن فِعْل عائشة فلم يخبرها كان ذلك نوعًا من العنت، وإدخال الضرر عليهن بسبب إخفاء ما يُسأل عنه، فقال مجيبًا: « إن الله لم يبعثني معنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسِّرًا». ووجه التيسير في هذا: أنه إذا أخبر بذلك اقتدىٰ بها غيرها من أزواجه، وسهل عليها اختيار الله ورسوله، والدار الآخرة».

(١) الحديث رواه مسلم (١٤٧٨).

(٢) قال النووي في «شرح مسلم» (١٠/ ٣٢٤): «الْمُرَاد: عَلَيْك بِوَعْظِ اِبْنَتك حَفْصَة، قَالَ أَهْل اللُّغَة: الْعَيْبَة فِي كَلَام الْعَرَب: وِعَاء يَجْعَل الْإِنْسَان فِيهِ أَفْضَل ثِيَابه وَنَفِيس مَتَاعه فَشَبَّهَتْ اِبْنَته بِهَا».

حَفْصَةُ أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لاَ يُحِبُّكِ، وَلَوْلاَ أَنَا لَطَلَّقَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ(١)، فَقُلْتُ لَهَا: أَيْنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: هُوَ فِي خِزَانَتِهِ فِي الْمَشْرُبَةِ(٢)، فَدَخَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبَاحٍ غُلاَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاعِدًا عَلَىٰ أُسْكُفَّةِ(٣) الْمَشْرُبَةِ، مُدَلٍّ رِجْلَيْهِ عَلَىٰ نَقِيرٍ مِنْ خَشَبٍ وَهُوَ جِذْعٌ يَرْقَىٰ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَيَنْحَدِرُ، فَنَادَيْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَىٰ الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَىٰ الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ، فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِي فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ، اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ظَنَّ أَنِّي جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ(٤)، وَاللهِ لَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِضَرْبِ عُنُقِهَا لأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا، وَرَفَعْتُ صَوْتِي، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنِ ارْقَهْ، فَدَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ

---

(١) سبب بكائها ذكره الحافظ ابن حجر فقال: «لِمَا اجْتَمَعَ عِنْدَهَا مِنَ الْحُزْنِ عَلَىٰ فِرَاقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلِمَا تَتَوَقَّعُهُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِ أَبِيهَا عَلَيْهَا، وَقد قَالَ لَهَا فِيمَا أخرجه ابن مَرْدَوَيْهِ: "وَاللهِ إِنْ كَانَ طَلَّقَكِ لَا أُكَلِّمُكِ أبدا "» «فتح الباري» (٩/ ٢٨٦)

(٢) هي الغرفة المرتفعة.

(٣) قال النووي: «هِيَ بِضَمِّ الْهَمْزَة وَالْكَاف وَتَشْدِيد الْفَاء وَهِيَ عَتَبَة الْبَاب السُّفْلِيّ».

(٤) أي: لأستعطفه عليها.

عَلَىٰ حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَىٰ عَلَيْهِ إِزَارَهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ، وَمِثْلِهَا قَرَظًا[1] فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ[2]، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ قَالَ: «**مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ**»، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا لِي لاَ أَبْكِىٰ؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لاَ أَرَىٰ فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَىٰ، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَىٰ فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ، فَقَالَ: «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَلاَ تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا**»، قُلْتُ: بَلَىٰ، قَالَ: وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ وَأَنَا أَرَىٰ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ - وَأَحْمَدُ اللهَ - بِكَلاَمٍ إِلاَّ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ، وَنَزَلَتْ

---

(١) القَرَظُ بفتحتين: حَبٌّ معروفٌ يَخرُج في غُلُفٍ كالعدَس، من شجر الْعِضَاه، وبعضهم يقول: القَرَظ: ورَقُ السَّلَم، يُدْبَغُ به الأَدِيمُ، وهو تسامحٌ ؛ فإن الوَرَق لا يُدبغ به، وإنما يُدبغ بالحبّ، وبعضهم يقول: الْقَرَظ شجرٌ، وهو تسامحٌ أيضًا ؛ فإنهم يقولون: جَنَيتُ الْقَرَظَ، والشجر لا يُجنىٰ، وإنما يُجنىٰ ثَمَرُهُ. «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» (٢/ ٤٩٩).

(٢) هو: الجلد الذي لم يتم دباغه. قاله النووي «شرح مسلم» (١٠/ ٣٢٤).

هَذِهِ الآيَةُ: آيَةُ التَّخْيِيرِ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [التحريم:٥]، ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[التحريم: ٤]، وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَحَفْصَةُ تَظَاهَرَانِ عَلَىٰ سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَطَلَّقْتَهُنَّ؟ قَالَ: «**لَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَىٰ، يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، أَفَأَنْزِلُ فَأُخْبِرَهُمْ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقْهُنَّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِنْ شِئْتَ**»، فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّىٰ تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ[1]، وَحَتَّىٰ كَشَرَ فَضَحِكَ[2]، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا، ثُمَّ نَزَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَنَزَلْتُ، فَنَزَلْتُ أَتَشَبَّثُ بِالْجِذْعِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَأَنَّمَا يَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ مَا يَمَسُّهُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنْتَ فِي الْغُرْفَةِ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ، قَالَ: «**إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعًا وَعِشْرِينَ**». فَقُمْتُ عَلَىٰ بَابِ الْمَسْجِدِ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِي: لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ

---

(١) أَيْ: زَالَ وَانْكَشَفَ. «المرجع السابق».

(٢) قال الإمام النووي: «هُوَ بِفَتْحِ الشِّين الْمُعْجَمَة الْمُخَفَّفَة، أَيْ: أَبْدَىٰ أَسْنَانه تَبَسُّمًا، وَيُقَال أَيْضًا فِي الْغَضَب، وَقَالَ اِبْن السِّكِّيت: كَشَرَ وَبَسَمَ وَابْتَسَمَ وَافْتَرَّ كُلّه بِمَعْنًى وَاحِد، فَإِنْ زَادَ قِيلَ: قَهْقَهَ وَزَهْدَقَ وَكَرْكَرَ». «المرجع السابق» (١٠/ ٣٢٥).

مِنْهُمْ﴾[النساء: ٨٣] فَكُنْتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الأَمْرَ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آيَةَ التَّخْيِيرِ[1].

****

(١) الحديث رواه مسلم (١٤٧٩).

الحديث الحادي عشر

* عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أيضـًا، قَالَ: مَكَثْتُ سَنَةً وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَنْ آيَةٍ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْأَلَهُ هَيْبَةً لَهُ، حَتَّىٰ خَرَجَ حَاجًّا فَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا رَجَعَ، فَكُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ إِلَىٰ الأَرَاكِ لِحَاجَةٍ لَهُ، فَوَقَفْتُ لَهُ حَتَّىٰ فَرَغَ، ثُمَّ سِرْتُ مَعَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَزْوَاجِهِ؟ فَقَالَ: تِلْكَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لأُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا مُنْذُ سَنَةٍ فَمَا أَسْتَطِيعُ هَيْبَةً لَكَ، قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ، مَا ظَنَنْتَ أَنَّ عِنْدِي مِنْ عِلْمٍ فَسَلْنِي عَنْهُ، فَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُهُ أَخْبَرْتُكَ، قَالَ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللهِ إِنْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا(١)، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ تعَالَىٰ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ قَالَ فَبَيْنَمَا أَنَا فِي أَمْرٍ أَأْتَمِرُهُ(٢)، إِذْ قَالَتْ لِي امْرَأَتِي: لَوْ صَنَعْتَ كَذَا وَكَذَا، فَقُلْتُ لَهَا: وَمَا لَكِ أَنْتِ وَلِمَا هَا هُنَا؟ وَمَا تَكَلُّفُكِ فِي أَمْرٍ أُرِيدُهُ؟ فَقَالَتْ لِي: عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، مَا تُرِيدُ أَنْ تُرَاجَعَ أَنْتَ،

(١) فِي رِوَايَةِ الطَّيَالِسِيِّ: " كُنَّا لَا نَعْتَدُّ بِالنِّسَاءِ وَلَا نُدْخِلُهُنَّ فِي أُمُورِنَا ". أفاده الحافظ ابن حجر: «فتح الباري» (٩/ ٢٨١).

(٢) مَعْنَاهُ: أُشَاوِرُ فِيهِ نَفْسِي وَأُفَكِّر، وَمَعْنَىٰ بَيْنَمَا وَبَيْنَا أَيْ: بَيْن أَوْقَات اِئْتِمَارِي، وَكَذَا مَا أَشْبَهَهُ. قاله النووي: «شرح مسلم» (١٠/ ٣٢٦).

وَإِنَّ ابْنَتَكَ لَتُرَاجِعُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ، قَالَ عُمَرُ: فَآخُذُ رِدَائِي ثُمَّ أَخْرُجُ مَكَانِي، حَتَّىٰ أَدْخُلَ عَلَىٰ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا بُنَيَّةُ إِنَّكِ لَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ؟ فَقَالَتْ حَفْصَةُ: وَاللهِ إِنَّا لَنُرَاجِعُهُ، فَقُلْتُ: تَعْلَمِينَ أَنِّي أُحَذِّرُكِ عُقُوبَةَ اللهِ وَغَضَبَ رَسُولِهِ، يَا بُنَيَّةُ: لاَ يَغُرَّنَّكِ هَذِهِ الَّتِي قَدْ أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا وَحُبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِيَّاهَا[1]، ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّىٰ أَدْخُلَ عَلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ لِقَرَابَتِي مِنْهَا[2]، فَكَلَّمْتُهَا، فَقَالَتْ لِي أُمُّ سَلَمَةَ: عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ قَدْ دَخَلْتَ فِي كُلِّ شَيءٍ حَتَّىٰ تَبْتَغِي أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ؟! قَالَ فَأَخَذَتْنِي أَخْذًا كَسَرَتْنِي عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُ أَجِدُ[3]، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا، وَكَانَ لِي صَاحِبٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِذَا غِبْتُ أَتَانِي بِالْخَبَرِ، وَإِذَا غَابَ كُنْتُ أَنَا آتِيهِ بِالْخَبَرِ،

---

(١) يريد بها عائشة رضي الله عن الجميع.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٢/ ٢٨٣): «يَعْنِي: لِأَنَّ أُمَّ عُمَرَ كَانَتْ مَخْزُومِيَّةً مِثْلَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَهِيَ: أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَوَالِدَةُ عُمَرَ: حَنْتَمَةُ بِنْتُ هَاشِمِ بْنِ الْمُغِيرَةَ، فَهِيَ بِنْتُ عَمِّ أُمِّهِ».

(٣) أَيْ: أَخَذَتْنِي بِلِسَانِهَا أَخْذًا دَفَعَنِي عَنْ مَقْصِدِي وَكَلَامِي، وَفِي رِوَايَةٍ لِابْنِ سَعْدٍ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: «أَيْ وَاللهِ إِنَّا لِنُكَلِّمُهُ؛ فَإِنْ تَحَمَّلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَوْلَىٰ بِهِ، وَإِنْ نَهَانَا عَنْهُ كَانَ أَطْوَعَ عِنْدَنَا مِنْكَ، قَالَ عُمَرُ: فَنَدِمْتُ عَلَىٰ كَلَامِي لَهُنَّ». قاله الحافظ ابن حجر «المرجع السابق» (٩/ ٢٨٣).

وَنَحْنُ حِينَئِذٍ نَتَخَوَّفُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ غَسَّانَ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْنَا، فَقَدِ امْتَلَأَتْ صُدُورُنَا مِنْهُ، فَأَتَىٰ صَاحِبِي الأَنْصَارِي يَدُقُّ الْبَابَ، وَقَالَ: افْتَحِ، افْتَحْ، فَقُلْتُ: جَاءَ الْغَسَّانِي؟ فَقَالَ: أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، اعْتَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزْوَاجَهُ، فَقُلْتُ: رَغِمَ أَنْفُ حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ، ثُمَّ آخُذُ ثَوْبِي فَأَخْرُجُ، حَتَّىٰ جِئْتُ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ يُرْتَقَىٰ إِلَيْهَا بِعَجَلَةٍ[(١)]، وَغُلامٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْوَدُ عَلَىٰ رَأْسِ الدَّرَجَةِ، فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ فَأُذِنَ لِي، قَالَ عُمَرُ: فَقَصَصْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَذَا الْحَدِيثَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ **تَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**، وَإِنَّهُ لَعَلَىٰ حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَضْبُورًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أُهُبًا[(٢)] مُعَلَّقَةً، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: **«مَا يُبْكِيكَ»**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ لَهُمَا الدُّنْيَا وَلَكَ الآخِرَةُ؟»**[(٣)].

****

(١) هي درجة من النخل. أفاده النووي. «شرح مسلم» (١٠/ ٣٢٧).

(٢) جَمْع إِهَاب، وَهُوَ الْجِلْد قَبْل الدِّبَاغ عَلَىٰ قَوْل الْأَكْثَرِينَ، وَقِيلَ: الْجِلْد مُطْلَقًا. انظر: «المرجع السابق».

(٣) الحديث رواه البخاري (٤٩١٣) ومسلم (١٤٧٩).

الحديث الثاني عشر[(١)]

* عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أيضـًا، قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رضي الله عنه عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾[التحريم: ٤] حَتَّىٰ حَجَّ عُمَرُ وَحَجَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ عُمَرُ وَعَدَلْتُ مَعَهُ[(٢)] بِالإِدَاوَةِ فَتَبَرَّزَ، ثُمَّ أَتَانِي فَسَكَبْتُ عَلَىٰ يَدَيْهِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنِ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا ﴿**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**﴾[التحريم: ٤]، قَالَ عُمَرُ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! - قَالَ الزُّهْرِي: كَرِهَ وَاللهِ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ وَلَمْ يَكْتُمْهُ - قَالَ: هِيَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ، ثُمَّ أَخَذَ يَسُوقُ الْحَدِيثَ، قَالَ: كُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ، قَالَ: وَكَانَ مَنْزِلِي فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ بِالْعَوَالِي، فَتَغَضَّبْتُ

---

(١) هذا الحديث وإن كان متقاربًا في المعنىٰ مع سابقه إلا أن فيه زيادات حسنة ليست في ذاك، وفيه موضعُ شاهدٍ جديدٍ لعنوان هذه الرسالة ليس في الحديث الأول، فرأيت ذكرهما جميعًا.

(٢) أيْ: عَن الطَّرِيقِ الْجَادَّةِ الْمَسْلُوكَةِ إِلَىٰ طَرِيقٍ لَا يُسْلَكُ غَالِبًا لِيَقْضِيَ حَاجَتَهُ. قاله الحافظ ابن حجر «الفتح» (٩/ ٢٨٠).

يَوْمًا عَلَىٰ امْرَأَتِي، فَإِذَا هِي تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِي ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَىٰ اللَّيْلِ، فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَىٰ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: أَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: أَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَىٰ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ؟ فَإِذَا هِي قَدْ هَلَكَتْ، لاَ تُرَاجِعِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَلاَ تَسْأَلِيهِ شَيْئًا، وَسَلِينِي مَا بَدَا لَكِ، وَلاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِي أَوْسَمَ وَأَحَبَّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكِ - يُرِيدُ عَائِشَةَ - قَالَ: وَكَانَ لِي جَارٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَآتِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ الْخَيْلَ لِتَغْزُونَا[1]، فَنَزَلَ صَاحِبِي، ثُمَّ أَتَانِي عِشَاءً فَضَرَبَ بَابِي، ثُمَّ نَادَانِي فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَاذَا؟ أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟ قَالَ: لاَ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَطْوَلُ؛ طَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءَهُ، فَقُلْتُ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ، قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا كَائِنًا، حَتَّىٰ إِذَا صَلَّيْتُ الصُّبْحَ شَدَدْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي، ثُمَّ نَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَىٰ حَفْصَةَ وَهْي تَبْكِي، فَقُلْتُ: أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: لاَ أَدْرِي، هَا هُوَ ذَا مُعْتَزِلٌ فِي هَذِهِ الْمَشْرُبَةِ،

---

(١) هي كنايةٌ عنِ استعدادهم للقتالِ معَ أهلِ المدينة.

فَأَتَيْتُ غُلَامًا لَهُ أَسْوَدَ، فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَل ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ، فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ الْمِنْبَرِ فَجَلَسْتُ، فَإِذَا عِنْدَهُ رَهْطٌ جُلُوسٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ، فَجَلَسْتُ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ، ثُمَّ أَتَيْتُ الْغُلَامَ، فَقُلْتُ: اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ، فَدَخَل ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ، فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ، فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، فَإِذَا الْغُلَامُ يَدْعُونِي، فَقَالَ: ادْخُلْ، فَقَدْ أَذِنَ لَكَ، فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ رَمْلِ حَصِيرٍ، قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْتُ: أَطَلَّقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: «لَا»، فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ، لَوْ رَأَيْتَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ، فَتَغَضَّبْتُ عَلَىٰ امْرَأَتِي يَوْمًا، فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي، فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَىٰ اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ؟ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ دَخَلْتُ عَلَىٰ حَفْصَةَ فَقُلْتُ: لَا يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْسَمُ مِنْكِ وَأَحَبُّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكِ، فَتَبَسَّمَ أُخْرَىٰ، فَقُلْتُ: أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللهِ؟[1] قَالَ:

---

(١) قال الحافظ ابن حجر «الفتح» (٩/ ٢٨٨_٢٨٩): «يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ هذا اسْتِفْهَامًا

=

«نَعَمْ». فَجَلَسْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ إِلاَّ أُهُبًا ثَلاَثَةً[١] فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَىٰ أُمَّتِكَ، فَقَدْ وَسَّعَ عَلَىٰ فَارِسَ وَالرُّومِ، وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللهَ، فَاسْتَوَىٰ جَالِسًا ثُمَّ قَالَ: «**أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**»، فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَانَ أَقْسَمَ أَنْ لاَ يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ، حَتَّىٰ عَاتَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[٢].



=

بطرِيق الاسْتِئْذَان، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الْقَوْلِ الْمَذْكُورِ بَعْدَهُ، وَهُوَ ظَاهِرُ سِيَاقِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ، وَجَزَمَ الْقُرْطُبِيُّ بِأَنَّهُ لِلاسْتِفْهَامِ؛ فَيَكُونُ أَصْلُهُ بِهَمْزَتَيْنِ تُسَهَّلُ إِحْدَاهُمَا، وَقَدْ تُحْذَفُ تَخْفِيفًا، وَمَعْنَاهُ: انْبَسَطَ فِي الْحَدِيثِ ؟ وَاسْتَأْذَنَ فِي ذَلِكَ لِقَرِينَةِ الْحَالِ الَّتِي كَانَ فِيهَا، لِعِلْمِهِ بِأَنَّ بِنْتَهُ كَانَتِ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ، فَخَشِيَ أَنْ يَلْحَقَهُ هُوَ شَيْءٌ مِنَ الْمَعْتَبَةِ، فَبَقِيَ كَالْمُنْقَبِضِ عَنْ الِابْتِدَاءِ بِالْحَدِيثِ حَتَّىٰ اسْتَأْذَنَ فِيهِ».

(١) أي: ثلاثة أُهب، وتقدم معناه.

(٢) الحديث رواه البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٤٧٩).

الحديث الثالث عشر

* عن عبد الله بن عمرو أو عبد الله بن عمر[(١)] قال: حَاصَرَ رَسُول الله ﷺ أَهْل الطَّائِف، فَلَمْ يَنَلْ مِنْهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ: إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ الله، قَالَ أَصْحَابه: نَرْجِع وَلَمْ نَفْتَحهُ؟!، فَقَالَ: أُغْدُوا عَلَىٰ الْقِتَال، فَغَدَوْا عَلَيْهِ، فَأَصَابَهُمْ جِرَاح، فَقَالَ لَهُمْ رَسُول الله ﷺ: إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا، فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، **فَضَحِكَ رَسُول الله** ﷺ[(٢)].[(٣)].

---

(١) لإيضاح سبب هذا التردد في اسم صحابي الحديث، راجع كلام النووي عند هذا الموضع من شرحه علىٰ مسلم (١٢/ ٣٣٨_٣٣٩). وقد رجح الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٦٢١) أنه ابن عُمر.

(٢) قال النووي في «شرح مسلم» (١٢/ ٣٣٩): «مَعْنَىٰ الْحَدِيث: أَنَّهُ ﷺ قَصَدَ الشَّفَقَة عَلَىٰ أَصْحَابه، وَالرِّفْق بِهِمْ بِالرَّحِيلِ عَنْ الطَّائِف لِصُعُوبَةِ أَمْره، وَشِدَّة الْكُفَّار الَّذِينَ فِيهِ، وَتَقْوِيَتهمْ بحصنهم، مع أَنَّهُ ﷺ عَلِمَ أَوْ وَرَجَا أَنَّهُ سَيَفْتَحُهُ بَعْدَ هَذَا بِلَا مَشَقَّة كَمَا جَرَىٰ، فَلَمَّا رَأَىٰ حِرْص أَصْحَابه عَلَىٰ الْمُقَام وَالْجِهَاد أَقَامَ، وَجَدَّ فِي الْقِتَال، فَلَمَّا أَصَابَتْهُمْ الْجِرَاح رَجَعَ إِلَىٰ مَا كَانَ قَصَدَهُ أَوَّلًا مِنْ الرِّفْق بِهِمْ، فَفَرِحُوا بِذَلِكَ ؛ لِمَا رَأَوْا مِنْ الْمَشَقَّة الظَّاهِرَة، وَلَعَلَّهُمْ نَظَرُوا فَعَلِمُوا أَنَّ رَأْي النَّبِيّ ﷺ أَبْرَك وَأَنْفَع وَأَحْمَد عَاقِبَة، وَأَصْوَب مِنْ رَأْيهمْ، فَوَافَقُوا عَلَىٰ الرَّحِيل، وَفَرِحُوا فَضحك النَّبِيّ ﷺ تَعَجُّبًا مِنْ سُرْعَة تَغَيُّر رَأْيهمْ. وَاَللَّه أَعْلَم».

(٣) الحديث رواه البخاري (٤٣٢٥)، ومسلم (١٧٧٨).

الحديث الرابع عشر

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَصَبْتُ جِرَابًا[١] مِنْ شَحْمٍ يَوْمَ خَيْبَرَ، قَالَ: فَالْتَزَمْتُهُ، فَقُلْتُ: لاَ أُعْطِي الْيَوْمَ أَحَدًا مِنْ هَذَا شَيْئًا، قَالَ: فَالْتَفَتُّ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَبَسِّمًا[٢] [٣].



(١) هُو وِعَاء مِن جِلْد.

(٢) لعل سبب تبسمه لِمَا رَآهُ مِنْ حِرْصه عَلَىٰ أَخْذه. يُفهم هذا من كلام النووي.

(٣) الحديث رواه البخاري (٣١٥٣)، ومسلم (١٧٧٢).

الحديث الخامس عشر

* عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ، ثُمَّ بَايَعَ وَبَايَعَ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ فِي وَسَطٍ مِنَ النَّاسِ قَالَ: «**بَايِعْ يَا سَلَمَةُ**»، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، قَالَ: «**وَأَيْضًا**»، قَالَ: وَرَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَزِلًا - يَعْنِي لَيْسَ مَعَهُ سِلاَحٌ - قَالَ: فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَجَفَةً أَوْ دَرَقَةً[1]، ثُمَّ بَايَعَ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ قَالَ: «**أَلاَ تُبَايِعُنِي يَا سَلَمَةُ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ بَايَعْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ، وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ، قَالَ: «**وَأَيْضًا**»، قَالَ: فَبَايَعْتُهُ الثَّالِثَةَ، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا سَلَمَةُ أَيْنَ حَجَفَتُكَ أَوْ دَرَقَتُكَ الَّتِي أَعْطَيْتُكَ**». قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ لَقِيَنِي عَمِّي عَامِرٌ عَزِلًا[2] فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا، قَالَ: **فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**[3]، وَقَالَ: «**إِنَّكَ كَالَّذِي قَالَ الأَوَّلُ: اللَّهُمَّ أَبْغِنِي حَبِيبًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي**»[4].

---

(١) هما شبيهتان بالترس. قاله النووي «شرح مسلم» (١٢/ ٣٨٣).

(٢) قد فسَّرهُ فِي الْكِتَاب بِالَّذِي لَا سلَاح معَهُ، وَيُقَال لَهُ أَيْضًا: بِأَعْزَل، وَهُو أَشْهَر اِسْتِعْمَالًا. قاله النووي «شرح مسلم» (٦/ ٢٦٧)

(٣) تعجّبًا مما صنع، حيث آثر عمه علىٰ نفسه بما أعطاه النبيّ ﷺ مع شدّة حرص الناس علىٰ مثل ذلك. قاله العلامة الإتيوبي في «البحر المحيط الثجاج» (٣١/ ٤٩١)

(٤) الحديث رواه مسلم: (١٨٠٧)

الحديث السادس عشر

* عَنْ أَنَس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِنْجَرًا، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَآهَا أَبُو طَلْحَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خَنْجَرٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا هَذَا الْخَنْجَرُ؟»، قَالَتِ: اتَّخَذْتُهُ، إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، **فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ**، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ اقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ(١) انْهَزَمُوا بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أُمَّ سُلَيْمٍ إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَىٰ وَأَحْسَنَ**»(٢).



(١) هم أهل مكة الذين أسلموا بعد الفتح؛ لأن النبي ﷺ منَّ عليهم وقال لهم: أنتم الطلقاء. قاله القاضي عياض «إكمال المعلم» (٦/ ١٠٥).

(٢) الحديث رواه مسلم (١٨٠٩).

الحديث السابع عشر

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضـًا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ[1] فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ، ثُمَّ جَلَسَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ[2]، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، **ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ**، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ**»[3]. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ، **ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ**، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مَا

---

(١) قال النووي: «قَوْله: (وَكَانَتْ أُمّ حَرَام تَحْت عُبَادَة بْن الصَّامِت..) وَقَالَ فِي الرِّوَايَة الْأُخْرَىٰ: (فَتَزَوَّجَهَا عُبَادَةُ بْن الصَّامِت بَعْد) فَظَاهِر الرِّوَايَة الْأُولَىٰ أَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَة لِعُبَادَة حَالَ دُخُول النَّبِيّ ﷺ إِلَيْهَا، وَلَكِنَّ الرِّوَايَة الثَّانِيَة صَرِيحَة فِي أَنَّهُ إِنَّمَا تَزَوَّجَهَا بَعْد ذَلِكَ، فَتُحْمَل الْأُولَىٰ عَلَىٰ مُوَافَقَة الثَّانِيَة، وَيَكُون قَدْ أَخْبَرَ عَمَّا صَارَ حَالًا لَهَا بَعْد ذَلِكَ». «شرح مسلم» (١٣/ ٦٢).

(٢) أي: تنظر وتفتش ما فيه.

(٣) قال النووي: «هذا الضَّحِك فَرحًا وسُرُورًا بِكَوْنِ أُمَّته تَبْقَىٰ بَعْده مُتَظَاهِرة بِأُمُورِ الْإِسْلَام، قَائِمَة بِالْجِهَادِ، حَتَّىٰ فِي الْبَحْر.» «شرح مسلم» (١٣/ ٦٠).

يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ**»، كَمَا قَالَ فِي الأُولَىٰ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قَالَ: «**أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ**». فَرَكِبَتْ أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانَ الْبَحْرَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ»(١).

****

(١) الحديث رواه البخاري (٢٧٨٨-٢٧٨٩)، ومسلم (١٩١٢).

الحديث الثامن عشر

* عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ الْمُنْذِرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُمَا قَالاَ: خَرَجَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ حِينَ هَاجَرَتْ، وَهِيَ حُبْلَىٰ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَدِمَتْ قُبَاءً[1]، فَنُفِسَتْ بِعَبْدِ اللهِ بِقُبَاءٍ، ثُمَّ خَرَجَتْ حِينَ نُفِسَتْ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُحَنِّكَهُ. فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا فَوَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ، ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَكَثْنَا سَاعَةً نَلْتَمِسُهَا قَبْلَ أَنْ نَجِدَهَا، فَمَضَغَهَا، ثُمَّ بَصَقَهَا فِي فِيهِ، فَإِنَّ أَوَّلَ شَيءٍ دَخَلَ بَطْنَهُ لَرِيقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَتْ أَسْمَاءُ: ثُمَّ مَسَحَهُ وَصَلَّىٰ عَلَيْهِ[2] وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ، ثُمَّ جَاءَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ لِيُبَايِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ[3]، وَأَمَرَهُ بِذَلِكَ الزُّبَيْرُ

---

(١) قُبَاءُ - الْيَوْمَ - بَلْدَةٌ عَامِرَةٌ تُطِيف بِذَلِكَ الْمَسْجِدِ، كَثِيرَةُ الْبَسَاتِينِ وَالسُّكَّانِ، وَتَكَادُ تَتَّصِلُ بِالْمَدِينَةِ عُمْرَانِيًّا، بَلْ اتَّصَلَتْ الْمَدِينَةُ بِهَا، مَسْجِدُهَا جَنُوبَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ بِسِتَّةِ أَكْيَالٍ، وَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي حَرَّةٍ تُسَمَّىٰ حَرَّةَ قُبَاءَ، وَهِيَ الْجُزْءُ الشَّرْقِيُّ مِنْ حَرَّةِ الْوَبَرَةِ. «معجم المعالم الجغرافية» (ص ٢٤٩).

(٢) أي: دعا له.

(٣) قال النووي: هذه بيعة تبريك وتشريف لا بيعة تكليف.

فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُ مُقْبِلًا إِلَيْهِ[١]، ثُمَّ بَايَعَهُ[٢].

❊❊❊❊

(١) تبسُّم رسول الله ﷺ لعبد الله، ومبايعته له فَرَحٌ به، وإنهاض له ؛ حيث ألحقه بنمط الكبار الحاصلين علىٰ تلك البيعة الشريفة، والمنزلة المنيفة. قاله القرطبي في «المفهم» (٥/ ٤٦٩).

(٢) الحديث رواه البخاري (٣٩٠٩)، ومسلم (٢١٤٦).

الحديث التاسع عشر

* عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ[(١)]. فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ[(٢)] أَوْ مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: حَتَّىٰ أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ مَا رَقَيْتُ إِلاَّ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَتَبَسَّمَ[(٣)] وَقَالَ: «**وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟**». ثُمَّ قَالَ «**خُذُوا مِنْهُمْ وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ[(٤)] مَعَكُمْ**»[(٥)].

---

(١) **أي**: ما أعطوهم حق الضيافة، وما قدموا لهم الضيافة. أفاده الشيخ العلامة: عبدالمحسن العباد، في شرحه علىٰ سنن أبي داود.

(٢) **اللديغ**: الذي لدغته الحيَّة، أو العقرب، وقد يُسمَّىٰ بالسَّلِيم تفاؤلًا، كما قد جاء في الرواية الأخرىٰ. قاله العلامة القرطبي في «المفهم» (٥/ ٥٨٥).

(٣) تعجّبًا مما صنع، وافق الحقّ دون أن يسبق له علم بذلك. قاله العلامة الإتيوبي في «البحر المحيط الثجاج» (٣٦/ ١١٢)

(٤) إِنَّمَا قَالَهُ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، وَمُبَالَغَة فِي تَعْرِيفهمْ أَنَّهُ حَلَال لَا شُبْهَة فِيهِ، وَإِلَّا فَجَمِيع الشِّيَاه مِلْك لِلرَّاقِي مُخْتَصَّة بِهِ، لَا حَقّ لِلْبَاقِينَ فِيهَا عِنْد التَّنَازُع. قاله النووي «شرح مسلم» (١٤/ ٤١٠).

(٥) الحديث رواه البخاري (٥٧٣٦)، ومسلم (٢٢٠١).





الحديث العشرون

* عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبي ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ رَأْسِي قُطِعَ، قَالَ: فَضَحِكَ النَّبِي ﷺ [(١)]، وَقَالَ: «**إِذَا لَعِبَ الشَّيْطَانُ بِأَحَدِكُمْ فِي مَنَامِهِ فَلاَ يُحَدِّث بِهِ النَّاسَ**»[(٢)].



(١) قَالَ الْمَازِرِيّ: يَحْتَمِلُ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ عَلِمَ أَنَّ مَنَامه هَذَا مِنْ الْأَضْغَاث بِوَحْي، أَوْ بِدَلَالَةٍ مِنْ الْمَنَام دَلَّتْهُ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ مِنْ الْمَكْرُوه الَّذِي هُوَ مِنْ تَحْزِين الشَّيَاطِين. نقله النووي في «شرح مسلم» (١٥/ ٢٩).

(٢) الحديث رواه مسلم (٢٢٦٨).

الحديث الحادي والعشرون

* عن أَنَس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نبي اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّىٰ أَمُرَّ عَلَىٰ صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: **فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ**[1]، فَقَالَ: «**يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ[2].



(١) "وهو يضحك"، أي: رفقًا به، واستلطافًا له. قاله العلامة القرطبي في «المفهم» (٦/ ١٠٤).

(٢) الحديث رواه مسلم (٢٣١٠).

الحديث الثاني والعشرون

* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ رضي الله عنه عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ **يَضْحَكُ**(١)، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ(٢). فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ**». قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيْ عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلَا تَهَبْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَغْلَظُ وَأَفَظُّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ (٣)، قَالَ

(١) ضحك ﷺ تعجبًا من حالهنّ حين سمعن صوت عمر ﷺ. قاله العلامة الإتيوبي «البحر المحيط الثجاج» (٣٨/ ٤٧٨).وسيأتي تصريح رسول الله ﷺ بذلك .

(٢) لَمْ يُرِدْ بِهِ الدُّعاءَ بكَثْرَةِ الضَّحِكِ بلْ لَازِمُه وهُوَ السرُور، أو نفي ضد لَازِمِهِ وَهوَ الْحُزْن. قاله الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٤٧)

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ((٧/ ٤٧): «قَوْلُهن: أَنْتَ أَفظُّ وَأَغلَظُ، بِالْمعْجمَتَيْن بِصِيغَةِ "أَفْعَلِ التَّفْضِيل" مِنَ الْفظاظَةِ وَالْغِلْظَةِ، وَهُوَ يَقْتَضِي الشَّرِكَةَ فِي أَصْلِ الْفِعْلِ، وَيُعَارِضُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حولك} فَإِنَّهُ يَقتَضِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فَظًّا وَلَا غلِيظًا، والْجَوَابُ: أَنَّ الَّذِي فِي الْآيَةِ يَقْتَضِي نَفْيَ وُجُودِ

=

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلاَّ سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»(١).



=

ذَلِكَ لَهُ صِفَةً لَازِمَةً فَلَا يسْتَلْزِمُ ما فِي الْحَدِيثِ ذَلِكَ ؛ بَلْ مُجَرَّدُ وُجُودِ الصِّفَةِ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ عِنْدَ إِنْكَارِ الْمُنْكَرِ مَثَلًا، وَاللهُ أَعْلَمُ. وَجَوَّزَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَفَظَّ هُنَا بِمَعْنَىٰ: الْفَظِّ، وَفِيهِ نَظَرٌ لِلتَّصْرِيحِ بِالتَّرْجِيحِ الْمقْتَضِي لِحمْلِ أَفْعَلَ علَىٰ بَابِهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يُوَاجِهُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُ إِلَّا فِي حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ اللهِ، وَكَانَ عُمَرُ يُبَالِغُ فِي الزَّجْرِ عَنِ الْمَكْرُوهَاتِ مُطْلَقًا وَطَلَبِ الْمَنْدُوباتِ، فَلِهذَا قَالَ النِّسْوَةُ لَه ذَلِكَ».

(١) الحديث رواه البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٦)

الحديث الثالث والعشرون

* عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أيضـًا: أَنَّ النَّبِي ﷺ جَمَعَ لَهُ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَحْرَقَ الْمُسْلِمِينَ(١)، فَقَالَ لَهُ النَّبي ﷺ: «ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»، قَالَ: فَنَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ لَيْسَ فِيهِ نَصْلٌ، فَأَصَبْتُ جَنْبَهُ فَسَقَطَ، فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(٢) حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَىٰ نَوَاجِذِهِ(٣).

****

(١) أي: أثخن فيهم، وعمل فيهم نحو عمل النار. قاله النووي. «شرح مسلم» (١٥/ ١٨٠)

(٢) قال النووي: «فضحك: أي فرحًا بقتله عدوه، لا لانكشافه - أي ظهور عورته - ».«المرجع السابق»

(٣) الحديث رواه مسلم (٢٤١٢).

الحديث الرابع والعشرون

* عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النبي ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي[(١)]، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِتَةٌ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيْ بُنَيَّةُ، أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟**». فَقَالَتْ: بَلَىٰ، قَالَ: «فَأَحِبِّي هَذِهِ»، قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَرَجَعَتْ إِلَىٰ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ، وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَ لَهَا: مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللهِ لَا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ[(٢)] عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَمْ أَرَ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتْقَىٰ

---

(١) هُوَ الدرْع من خز أخْضَر، قَالَه النَّضر بن شُمَيْل، وَقَالَ الْخَلِيل: كسَاء. انظر «الفتح»، وقال النووي بمثل قول الخليل.

(٢) قال النووي: «أَيْ تُعَادِلُنِي وَتُضَاهِينِي فِي الْحَظْوَة وَالْمَنْزِلَة الرَّفِيعَة، مَأْخُوذٌ مِنْ السُّمُوِّ، وَهُوَ الِارْتِفَاع». «شرح مسلم» (١٥/ ٢٠٢)

لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالًا لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، مَا عَدَا سَوْرَةً مِنْ حَدٍّ كَانَتْ فِيهَا تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ[(١)]، قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا عَلَىٰ الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعَتْ بِي، فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ، هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا؟ قَالَتْ: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّىٰ عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لاَ يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ، قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا حِينَ أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَبَسَّمَ: «**إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ**[(٢)]»[(٣)].

*****

(١) قال النوويّ: «ومعنىٰ الكلام: أنها كانت كاملة الأوصاف، إلا أن فيها شدّة خُلُق، وسُرْعة غضب، تُسرع منها الفيئة أي الرجوع». «المرجع السابق».

(٢) أي: إنها شريفة عاقلةٌ، عارفةٌ كأبيها، ففيه إشارة إلىٰ كمال فهمها، ومتانة عقلها، حيث صبرت إلىٰ أن أثبتت أن التعدّي من جانب الخصم، ثم أجابت بجواب إلزام. قاله العلامة الإتيوبي:«البحر المحيط الثجاج» (٣٩/ ٧٨).

(٣) الحديث رواه البخاري: (٢٥٨١)، ومسلم (٢٤٤٢).

الحديث الخامس والعشرون

* عَنْ جَرِيرٍ بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلاَ رَآنِي إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي[1]، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لاَ أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»[2].

❊❊❊❊

(١) هذا منه ﷺ فَرَحٌ به، وبشاشة للقائه، وإعجابٌ برؤيته؛ فإنَّه كان من كَمَلة الرجال خَلْقًا، وخُلُقًا. قاله العلامة القرطبي «المفهم» (٦/ ٤٠٣).

(٢) الحديث رواه البخاري (٣٠٣٥)، ومسلم (٢٤٧٥).

الحديث السادس والعشرون

* عن أَنَس بْن مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ عِنْدَ أُمِّ سُلَيْمٍ يَتِيمَةٌ، فَرَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْيَتِيمَةَ، فَقَالَ: «آنْتِ هِيَهْ؟ لَقَدْ كَبِرْتِ، لاَ كَبِرَ سِنُّكِ»، فَرَجَعَتِ الْيَتِيمَةُ إِلَىٰ أُمِّ سُلَيْمٍ تَبْكِي، فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: مَا لَكِ يَا بُنَيَّةُ؟ قَالَتِ الْجَارِيَةُ: دَعَا عَلَيَّ نَبِي اللهِ ﷺ أَنْ لاَ يَكْبَرَ سِنِّي، فَالآنَ لاَ يَكْبَرُ سِنِّي أَبَدًا، - أَوْ قَالَتْ: قَرْنِي -، فَخَرَجَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ مُسْتَعْجِلَةً تَلُوثُ خِمَارَهَا، حَتَّىٰ لَقِيَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟»، فَقَالَتْ: يَا نَبِي اللهِ، أَدَعَوْتَ عَلَىٰ يَتِيمَتِي؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؟»، قَالَتْ: زَعَمَتْ أَنَّكَ دَعَوْتَ أَنْ لاَ يَكْبَرَ سِنُّهَا وَلاَ يَكْبَرَ قَرْنُهَا، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[(١)]، ثُمَّ قَالَ: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ: أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ شَرْطِي عَلَىٰ رَبِّي أَنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَىٰ رَبِّي فَقُلْتُ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَرْضَىٰ كَمَا يَرْضَىٰ الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أَحَدٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ أَنْ تَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)].

*****

(١) تعجّبًا من خوف أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا من قبول دعائه ﷺ علىٰ يتيمتها. قاله العلامة الإتيوبي «البحر المحيط الثجاج» (٤٠/ ٧١٢).

(٢) الحديث رواه مسلم (٢٦٠٣)

الحديث السابع والعشرون

* عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَىٰ النَّبِي ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ - أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ -، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، **فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ تَصْدِيقًا لَهُ،** ثُمَّ قَرَأَ ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[الزمر: ٦٧]، وفي رواية: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَعَجُّبًا لِمَا قَالَ، تَصْدِيقًا لَهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾». وَتَلاَ الآيَةَ(١).



(١) الحديث رواه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦)

الحديث الثامن والعشرون

* عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حديث الإفك الطويل، قالت: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَىٰ فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا وَاللهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَىٰ، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَىٰ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ[1]، وَلاَ خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ[2] عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ[3]، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِىٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ:

---

(١) أي: فَارقَهُ.

(٢) هِيَ شِدَّةُ الْحُمَّىٰ، وَقِيلَ شِدَّةُ الْكَرْبِ، وَقِيلَ شِدَّةُ الْحَرِّ وَمِنْهُ بَرِحَ بِي الْهَمُّ إِذَا بَلَغَ مِنِّي غَايَتَهُ. انظر «الفتح للحافظ ابن حجر» (٨/ ٤٧٦).

(٣) قال النووي: «الْجُمَان بِضَمِّ الْجِيم وَتَخْفِيف الْمِيم :هِيَ حَبَّات مِنْ الْفِضَّة تُصْنَع عَلَىٰ هَيْئَة اللُّؤْلُؤ الْكِبَار، وَالْمُرَاد يَتَحَدَّر مِنْهُ الْمَاء عَلَىٰ هَيْئَة اللُّؤْلُؤ فِي صَفَائِهِ، فَسُمِّيَ الْمَاء جُمَانًا لِشَبَهِهِ بِهِ فِي الصَّفَاء». «شرح مسلم» (١٧/ ١١١).

=

فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «**أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ**»، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللهَ، هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**﴾ عَشْرَ آيَاتٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلاَءِ الآيَاتِ بَرَاءَتِي[١].



=

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٤٧٦): «الْجُمَانُ.. اللُّؤْلُؤُ، وَقِيلَ حَبٌّ يُعْمَلُ مِنَ الْفِضَّةِ كَاللُّؤْلُؤِ، وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ: خَرَزٌ أَبْيَض، وَالْأَوَّلُ أَوْلَىٰ، فَشُبِّهَتْ قَطَرَاتِ عَرَقِهِ ﷺ بالجمان لمشابهتها فِي الصفاء وَالْحسن».

(١) الحديث رواه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم: (٢٧٧٠)

الحديث التاسع والعشرون

* عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي رضي الله عنه ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً، يَكْفَؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لأَهْلِ الْجَنَّةِ**»، قَالَ: فَأَتَىٰ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ، أَبَا الْقَاسِمِ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**بَلَىٰ**». قَالَ: تَكُونُ الأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً - كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ - قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، **ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**(١)، قَالَ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ؟ قَالَ: «**بَلَىٰ**»، قَالَ: إِدَامُهُمْ بَالاَمُ وَنُونٌ، قَالُوا(٢): وَمَا هَذَا؟ قَالَ: ثَوْرٌ وَنُونٌ، يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا(٣).



---

(١) يريد أنه أعجبه إخبار اليهوديّ بما في كتابهم بنظير ما أخبر به من جهة الوحي، وكان يُعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم يُنزَل عليه، فكيف بموافقتهم فيما أُنزل عليه؟. قاله العلامة الإتيوبي «البحر المحيط الثجاج» (٤٣/ ٣٥٥).

(٢) أي من حضر من الصحابة.

(٣) الحديث رواه البخاري: (٦٥٢٠)، ومسلم: (٢٧٩٢).

الحديث الثلاثون

* عن فاطمة بنت قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في شأن قصة الجساسة، وفيه قولها: فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي؛ مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ يُنَادِي: الصَّلاَةَ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلاَتَهُ، جَلَسَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَّهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي[١] أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ[٢] فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ

---

(١) هذا مَعْدود فِي مناقِب تَمِيم لِأَنَّ النَّبِيّ ﷺ رَوَىٰ عَنْهُ هَذِهِ الْقِصَّة. قاله النووي «شرح مسلم» (١٨/ ٢٨٢).

(٢) أما لَخْمٌ: فَبِفَتْحِ اللَّامِ وَسُكُونِ الْمُعْجَمَةِ، قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ شَهِيرَةٌ، يُنْسَبُونَ إِلَىٰ لَخْمٍ، وَاسْمُهُ مَالِكُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أُدَدَ، وَأَمَّا جُذَامٌ: فَبِضَمِّ الْجِيمِ بَعْدَهَا مُعْجَمَةٌ خَفِيفَةٌ، قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ شَهِيرَةٌ، أَيْضًا يُنْسَبُونَ إِلَىٰ عَمْرِو بْنِ عَدِيٍّ، وَهُمْ إِخْوَةُ لَخْمٍ عَلَىٰ الْمَشْهُورِ، وَقِيلَ: هُمْ مِنْ وَلَدِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ. انظر «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٧٤).

شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَىٰ جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ، فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ، مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ...» الحديث[1].

❁****❁

(١) الحديث رواه مسلم (٢٩٤٢).

الحديث الحادي والثلاثون

* عَمْرِو بْنَ عَوْفٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَىٰ الْبَحْرَيْنِ[(١)] يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلاَةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ[(٢)]، ثُمَّ قَالَ: «أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟»، فَقَالُوا: أَجَلْ يَا

(١) الْبَحْرَيْنِ بِلَفْظِ مُثَنَّى بَحْرٍ: كَانَ اسْمًا لِسوَاحِلِ نَجْدٍ بَيْنَ قطَرَ وَالْكُوَيْتِ، وَكَانَت هَجَرُ قَصبَتَهُ، وَهِي الْهُفُوف الْيوْم وَقَدْ تُسَمَّىٰ «الْحَسَا» ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَىٰ هَذَا الْإِقْلِيم اسْمُ الْأَحْسَاءِ حَتَّىٰ نِهَايَةِ الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ، وَانْتَقَلَ اسْمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَىٰ جَزِيرَةٍ كَبِيرَةٍ تُوَاجِهُ هَذَا السَّاحِلَ مِنْ الشَّرْقِ، هَذِهِ الْجَزِيرَةُ كَانَتْ تُسَمَّىٰ «أَوَالُ» وَهِيَ إِمَارَةُ- مملكة - الْبَحْرَيْنِ الْيَوْمَ. وَعِنْدَمَا تَكَوَّنَتْ الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ أُطْلِقَ عَلَىٰ هَذَا الْإِقْلِيم اسْمُ «الْمِنْطَقَةِ الشَّرْقِيَّةِ» وَجُعِلَتْ مَدِينَةُ الدَّمَّامِ قَاعِدَتَهَا.. وَيَرْتَبِطُ بِالْبَحْرَيْنِ (الدَّوْلَةِ) بِجِسْرٍ عَلَىٰ الْبَحْرِ، وَبِالرِّيَاضِ بِسِكَّةِ حَدِيدٍ وَطَرِيقٍ مُزَفَّتَةٍ. اهـ. «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» (ص٤١).

(٢) تعجّبًا من حالهم؛ لأنهم ما كانوا يصلّون مَعه، وإنما يُصلّون في مساجدهم. قاله العلامة الإتيوبي «البحر المحيط الثجاج» (٤٥/ ٦٦).

رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»(١).

*****

(١) الحديث رواه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١)

الحديث الثاني والثلاثون

* عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟(١)»، قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَىٰ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ، قَالَ: فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»(٢).



(١) أي: من أي شيء أضحك؟ وفيه إيماء إلىٰ أنه لا ينبغي الضحك إلا لأمر غريب، وحكم عجيب. قاله العلامة الإتيوبي: «البحر المحيط الثجاج» (٤٥/ ١٢٢).

(٢) الحديث رواه مسلم (٢٩٦٩).

الحديث الثالث والثلاثون

* عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ الاِثْنَيْنِ، وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلاَةِ، كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سِتْرَ الْحُجْرَةِ، فَنَظَرَ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ، كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ[1]، **ثُمَّ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَاحِكًا**[2]، قَالَ: فَبُهِتْنَا وَنَحْنُ فِي الصَّلاَةِ، مِنْ فَرَحٍ بِخُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَارِجٌ لِلصَّلاَةِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ أَنْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَرْخَىٰ السِّتْرَ، قَالَ: فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ[3].

*****

(١) عبارة عن الجمال البارع، وحُسن الْبَشَرَة، وصفاء الوجه، واستنارته. قاله النووي «شرح مسلم» (٤/ ٣٦٣).

(٢) سبب تبسمه ﷺ فَرَحه بما رأىٰ من اجتماعهم علىٰ الصلاة، واتّباعهم لإمامهم، وإقامتهم شريعته، واتفاق كلمتهم، واجتماع قلوبهم، ولهذا استنار وجهه ﷺ علىٰ عادته إذا رأىٰ أو سمع ما يَسُرُّه يَستنير وجهه، وفيه معنىٰ آخر، وهو تأنيسهم، وإعلامهم بتماثل حاله في مرضه. قاله النووي: «المرجع السابق».

(٣) الحديث رواه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).

الحديث الرابع والثلاثون

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديثه الطويل، في شأن تخلفه عن غزوة تبوك: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلاً مِنْ تَبُوكَ، حَضَرَنِي بَثِّي، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَىٰ ذَلِكَ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ لِي: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا، زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، حَتَّىٰ عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَصَبَّحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلاَنِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ، حَتَّىٰ جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ، تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ(١)، ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَ**»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّىٰ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «**مَا خَلَّفَكَ؟، أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً، وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَىٰ بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ

---

(١) أي: تبسُّم من يظهر عليه الغضب.

فِيهِ، إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عُقْبَىٰ اللهِ، وَاللهِ مَا كَانَ لِي عُذْرٌ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَىٰ وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**[1]».

*****

(١) الحديث رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

الحديث الخامس والثلاثون

* عن أنسٍ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبيُ ﷺ يَخطبُ يوم جمعةٍ، فقامَ الناس فصاحوا، فقالوا: يا رسول الله قَحَطَ المطرُ، واحمرتِ الشجرُ، وهلكت البهائم، فادع الله يسقينا، فقال: «**اللهمَّ اسقنا**» مرتين، وايم الله، ما نرىٰ في السماء قزعة من سحاب[١]، فنشأت سحابة وأمطرت، ونزل عن المنبر فصلىٰ، فلما انصرف، لم تزل تمطر إلىٰ الجمعة التي تليها، فلما قام النبي ﷺ يخطب صاحوا إليه: تهدمت البيوت، وانقطعت السبل، فادع الله يحبسها عنا، **فتبسم النبي ﷺ**[٢]، ثم قال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**» فكشطت المدينة، فجعلت تمطر حولها، ولا تمطر بالمدينة قطرة، فنظرت إلىٰ المدينة وإنها لفي مثل الإكليل[٣].

❊❊❊❊

---

(١) **أَيْ**: قِطْعَةٌ مِنْ سَحَابٍ رَقِيقَةٌ. قاله الحافظ ابن حجر «الفتح» (٤/ ٢٥٨)

(٢) سبب التبسم بينته رواية النسائي: " لسرعة ملالة بن آدَمَ ".

(٣) الحديث رواه البخاري (١٠٢١)، ومسلم (٨٩٧)، والإكليل بكسر الهمزة، وسكون الكاف، كل شيء دار من جوانبه، واشتَهَرَ لما يوضع علىٰ الرأس، فيحيط به، وهو من ملابس الملوك كالتاج. قاله العلامة الإتيوبي «البحر المحيط الثجاج» (١٧/ ٥٥٣)

الحديث السادس والثلاثون

* عنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿**حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ**﴾ [البقرة: ١٨٧]، قَالَ: أَخَذْتُ عِقَالاً أَبْيَضَ وَعِقَالاً أَسْوَدَ، فَوَضَعْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي، فَنَظَرْتُ فَلَمْ أَتَبَيَّنْ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَضَحِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّ وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ طَوِيلٌ، إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ**»(١).



(١) الحديث رواه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠)، ورواه أيضـاً أبو داود (٢٣٤٩) وهو لفظُهُ.

الحديث السابع والثلاثون[(١)]

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لما مات عبد الله بن أُبي ابن سلول، دُعِيَ له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله أتصلي علىٰ ابن أُبي، وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ - أعدد عليه قوله - **فتبسم رسول الله ﷺ**[(٢)]، وقال: «**أَخر عني يا عمر**»، فلما أكثرت عليه، قال: «**إني خيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت علىٰ السبعين فغفر له لزدت عليها**»، قال: فصلىٰ عليه رسول الله ﷺ، ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً حتىٰ نزلت الآيتان من براءة: ﴿**وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا**﴾ إلىٰ ﴿**وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾[التوبة:٨٤] قال: فعجبت بعدُ من جرأتي علىٰ رسول الله ﷺ يومئذٍ، والله ورسوله أعلم[(٣)].

---

(١) هذا الحديث وما بعده ليس في صحيح مسلم، فتنبه.

(٢) قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (٨/ ٣٣٥): «قَال الزَّيْن ابن المُنِيرِ: وإنما قالَ ذَلِكَ عُمر، حِرْصًا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَمشُورةً، لَا إِلْزَامًا، وَلَهُ عَوَائِدٌ بِذلِك، وَلَا يبعُد أَن يَكُونَ النَّبِيُّ كَانَ أَذِنَ لَهُ فِي مِثْلِ ذَلِك، فَلَا يَسْتَلْزِمُ مَا وَقَعَ مِنْ عُمَرَ أَنَّهُ اجْتَهَدَ مَعَ وُجودِ النَّصِّ، كَمَا تَمَسكَ بِهِ قَوْمٌ فِي جَوَازِ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَشَارَ بِالَّذِي ظَهَرَ لَهُ فَقَطْ، وَلِهَذَا احْتَمَلَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ أَخذَهُ بِثَوْبِهِ، وَمُخاطَبَتِهِ لَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَقَامِ، حَتَّىٰ ألتفت إِلَيْهِ مُتبَسِّمًا».

(٣) الحديث رواه البخاري (١٣٦٦).

الحديث الثامن والثلاثون

* عن أَبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ، إِنْ كُنْتُ لأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَىٰ الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَىٰ بَطنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يوماً عَلَىٰ طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ(١)، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فمر ولم يفعل، ثم مرَّ بي عمر، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فمر ولم يفعل، فَمَرَّ بِي أبو القاسم ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِيْنَ رَآنِي(٢)، وَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا فِي نَفْسِي، ثُمَّ قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: «الْحَقْ»، وَمَضَىٰ فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي فَدَخَلْتُ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلانٌ - أَو فُلانَةٌ - قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قلتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول اللهِ، قَالَ: «الْحَقْ إِلَىٰ أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ علَىٰ أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَىٰ أَحدٍ، وَكَانَ

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «الضَّمِيرُ لِلنَّبِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَبَعْضِ أَصْحَابِهِ، مِمَّنْ كَانَ طَرِيقُ مَنَازِلِهِمْ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ مُتَّحِدَةً» «فتح الباري» (١١/ ٢٨٥).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: «اسْتَدَلَّ أَبو هُرَيْرَةَ بِتَبَسُّمِهِ ﷺ عَلَىٰ أَنَّهُ عَرَفَ مَا بِهِ، لِأَنَّ التبَسُّمَ: تَارَةً يَكُونُ لِمَا يُعْجِبُ، وَتَارَةً يَكُونُ لِإِينَاسِ مَنْ تَبَسَّمَ إِلَيْهِ، وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْحَالُ مُعْجِبَةً، فَقَوِيَ الْحَمْلُ عَلَىٰ الثَّانِي». «المرجع السابق».

إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وأَشْرَكَهُمْ فِيهَا. فَسَاءنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟ كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّىٰ بِهَا، فَإِذَا جَاءُوا وَأَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ؛ وَمَا عَسَىٰ أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رسول الله ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: «**يَا أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: «**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**» قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُل فَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَرْوَىٰ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَرْوَىٰ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَرْوَىٰ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوضَعَهُ عَلَىٰ يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ(١)، فَقَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: «**بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ**» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رسول الله، قَالَ: «**اقْعُدْ فَاشْرَبْ**» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «**اشْرَبْ**» فَشَرِبْتُ، فَمَا

---

(١) كَأَنَّهُ ﷺ كَانَ تَفَرَّسَ فِي أَبِي هُرِيرَةَ مَا كَانَ وَقَعَ فِي تَوَهُّمِهِ؛ أَنْ لَا يَفْضُلَ لَهُ مِنَ اللَّبَنِ شَيْءٌ، فَلِذَلِكَ تَبَسَّمَ إِلَيْهِ، إِشَارَةً إِلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يَفُتْهُ شَيْءٌ. قاله الحافظ ابن حجر «المرجع السابق» (١١/ ٢٨٨).

زَالَ يَقُولُ: «**اشْرَبْ**» حَتَّىٰ قُلْتُ: لا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَجِدُ لَهُ مَسْلكًا! قَالَ: «**فَأَرِنِي**» فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ الله تَعَالَىٰ، وَسَمَّىٰ وَشَرِبَ الفَضْلَةَ(١).

❋❋❋❋

(١) الحديث رواه البخاري (٦٤٥٢).

الحديث التاسع والثلاثون

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ: «أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، قال: فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ، وَاسْتِوَاؤهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثال الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللهِ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدم فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ»، فَقَالَ الأَعْرَابِي: وَاللهِ لاَ تَجِدُهُ إِلاَّ قُرَشِيًّا، أَوْ أَنْصارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ [1].



(١) الحديث رواه البخاري (٢٣٤٨)، قال ابن بطال في «شرح صحيح البخاري» (٦/ ٤٨٨):

«دل ضحكه ﷺ علىٰ إصابة الأعرابي للحق في استدلاله».

الحديث الأربعون

* عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: تُوُفّي أبي، وعليه دَيْن، فعرضتُ علىٰ غُرَمائه أن يأخذوا التمر بما عليه، فأبَوْا، ولم يَرَوْا فيه وَفاءً، فأتيت النبي ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال: «**إذا جَدَدْته فوضعته في المِرْبَد**[١] **آذِنِّي**»، فلما جددته ووضعته في المربد فآذَنْتُ رسول الله، فجاء ومعه أبو بكر، وعمر، فجلس عليه ودعا بالبركة فيه، ثم قال: «**ادعُ غرماءك فأوفِهِم**»، فما تركت أحدا له دين علىٰ أبي إلا قضيته، وفَضَلَ ثلاثة عشر وسقا: سبعة عجوة، وستة لَونٌ[٢]، فوافيتُ مع رسول الله ﷺ المغرب، فذكرت ذلك له، **فضحك**، وقال: «**ائتِ أبا بكر وعمر فأخبرهما**»، فقالا: لقد علمنا إِذْ صَنَعَ رسول الله ﷺ ما صنع أن سيكون ذلك[٣].



(١) هو الموضع الذي يحبس فيه الإبل وغيره، وأهل المدينة يسمون الموضع الذي يجفف فيه التمر مربداً. قاله البدر العيني في «عمدة القاري».

(٢) اللَّوْنُ: مَا عَدَا الْعَجْوَةَ، وَقِيلَ: هُوَ الدَّقَلُ،وَهُوَ الرَّدِيءُ، وَقِيلَ: اللَّوْنُ: اللِّينُ وَاللِّينَةُ، وَقِيلَ: الْأَخْلَاطُ مِنَ التَّمْرِ. انظر «فتح الباري» (٥/ ٣١١)

(٣) الحديث رواه البخاري (٢٧٠٩).

الفهرس